الرغبة والحاجة الملحة للمشاركة الجماهيرية في النضال الوطني الفلسطيني الناهض والمتجسد في منظمة التحرير الفلسطينية؛ والثاني، تمثل في ضرورة ابراز شكل تنظيمي يدير ويوجه هذه الرغبة وتلك المشاركة.

وقد قيل لنا، في حينه، ما هي ضرورة حركة ابناء البلد وهناك حزب شيوعي، وهو حزب عريق وله نشراته وادبياته ومؤتمراته ؟

كنا، وما زلنا، نجيب عن ذلك بأننا لم نقم لنشكل بديلاً للحزب. نحن قمنا لشعورنا بالحاجة الى التعبير عن انفسنا، وهذا الامر ليس ممكناً بالنسبة الينا من خلال الحزب الشيوعي الاسرائيلي.

في اول تظاهرة نظمتها حركة ابناء البلد بتاريخ ١٩٧٢/٨/٣١، لم يغب عن بالنا رفع شعارات ضد السلطة المركزية. رفعنا شعارات بسيطة، ولكنها معبرة عن حاجتنا الوطنية مثل: «نريد ان نتعلم تاريخنا بطريقة صحيحة»، «نريد ان نحيي ثقافتنا وحضارتنا»، «نحن ضد النهج الثقافي الصهيوني الرسمي في طمس ثقافتنا الوطنية، وضد سياسة التمييز والتجهيل، ونطالب بتعيين مدرسين وطنيين واكفاء».

ومن اول شعارات رفعناها، قبل ان نتبنى اسم ابناء البلد (في ١٩٧١)، وزعنا بياناً للدفاع عن العمال، وكان موقعاً من لجنة الدفاع عن العمال. وقد توسعت اللجنة خارج نطاق ام الفحم لتشمل منطقة المثلث. اما بالنسبة الى الشيوعيين، فقد شارك منهم الاعضاء من ام الفحم، وعاره، وعرعره، ومركز اللجنة كان في ام الفحم، وشارك فيها اعضاء من ماتسبين. البيان الذي وزعناه تطرق الى استشهاد احد العمال العرب في اثناء تأديته لعمله في البناء، في تل ـ ابيب، حيث سقط من على بناء مرتفع. ان سقوط هذا العامل كان نموذجاً للمخاطر الكبيرة، والكثيرة، اليومية، التي كان يتعرض لها عمالنا العرب؛ وكانت هذه المسألة هي الاساسية التي ناقشها البيان. وقد وزعنا البيان باللغتين، العبرية والعربية، في منطقة المثلث وعلى الاوساط اليهودية.

خلال جنازة العامل الشهيد، تحدث مندوبون عنا وشرحنا الظروف القاسية التي يعاني منها العمال العرب. وفي منطقة المثلث، قمنا بإحياء لجنة المثلث للدفاع عن اهالي اقرت وكفر برعم والمطالبة بعودتهم الى المناطق التي هجِّروا منها العام ١٩٤٨.

وعلى الرغم من قرار المحكمة العليا بعودتهم اليها، الاَّ ان السلطات العسكرية منعتهم من ذلك.

ومن النشاطات المبكرة، ايضاً، في اطار لجنة الدفاع عن العمال، قمنا باصدار بيان آخر، اطول، داعم، باللغتين ايضاً، حول مشاكل العمال العرب كافة. اللجنة كانت تضم عشرة اشخاص او اكثر قليلاً، منهم انا ومحمد سلامة وغسان فوزي واحمد سعيد مصطفى ومحمد انيس حماد وغيرهم. وتعاونّا، في ذلك الوقت، مع ماتسبين، وكانت هذه الحركة السياسية في اوج قوتها.

من المسائل الاخرى التي تعرضنا لها قبل الاعلان الرسمي عن حركة ابناء البلد، قضية «ام الخانوق»، وهي منطقة تحيط بالمدخل الرئيس لام الفحم وتابعة لمجلسها المحلي رسمياً، ولكن معظمها، وليس كلها، مملوك من قبل افراد في البلدة. وخلال فترة الانتداب البريطاني، وضعت السلطات البريطانية يدها على الارض، لذلك قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرتها على اساس انها وريثة المندوب السامي؛ كما قامت بتحريجها. حاولنا الحصول على دعم ومساعدة الحزب الشيوعي. وتمكننا من التنسيق مع احد قياديي الحزب في البلدة، فساعدنا كثيراً في تلك المسألة، وقمنا بتوزيع بيان مسهب شرحنا فيه ملابسات القضية، ووقع البيان باسم «لجنة الدفاع عن الاراضي»، وهو الاسم الذي استمر، فيما بعد. وكان هذا اول بيان يصاغ صياغة تحالفية. تابعنا الموضوع مع المجلس المحلي، وكان رئيسه آنذاك احمد جابر جبارين، وهو من عملاء السلطة وصديق مقرب لموشي دايان، وله ارتباطات قبل قيام اسرائيل. ويقول بعض الروايات انه ساعد على تهريب موشي دايان من سجن عكا خلال فترة عمله الطويلة مع البوليس البريطاني، وقد فرض نفسه زعيماً للحمولة. ابنه جابر جبارين شغل منصب رئيس شرطة الناصرة، وهو معروف بشراسته ضد العرب، ومن ابرز ما روي عنه انه قام، شخصياً، بتعذيب ابن اخته كامل جبارين، من جنين، لدى اعتقاله بتهمة محاولة تفجير سيارة اسرائيلية، وحكم عليه لمدة ١٥ سنة.

هذه الاشياء، التي ذكرتها، جاءت في سياق التمهيد والاعداد ونيل التأييد الشعبي لحركة ابناء البلد قبيل الاعلان عنها، من اجل ضمان استمرارها، في حالة قيام السلطة بمحاولات